٣- موضوعية* objectivité

ننطلق في حديثنا عن الموضوعية كخاصية من خصائص العقلانية التطبيقية من فكرة مفادها أن اليقين في الفيزياء الكلاسيكية مرتبط بالموضوعية، وهذه الأخيرة مرتبطة أشد الارتباط بالواقع réel، والواقع في هذه الحالة يحمل مفهوما أنطولوجي الذي يشبه مفهوم الموضوعي في الموقف الطبيعي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى سيكون حديثنا عن الموضوعية عند باشلار انطلاقا كذلك من فكرة وجود العالم الخارجي المنفصل عن الذات، وبالتالي هناك فاصل بين الذات العارفة والموضوع المعرفة هذا من جهة ثانية،

---

* الموضوعي objectif: هو المنسوب إلى الموضوع بجميع معانيه.

- فإذا دل الموضوع على ما يتمثله الذهن لا على الشيء الخارجي، كان الموضوعي مقابلا للفعلي أو الصوري نقول الحقيقة الموضوعية réalité objectivité أي الحقيقة المقابلة للحقيقة الصورية réalité formelle أو الفعلية actuelle التي توجد خارج الذهن، فالوجود الموضوعي بهذا المعنى هو الوجود الذهني. أما الوجود الصوري أو الفعلي أي وجود الشيء من جهة الصورة فهو وجوده في ذاته مستقلا عن كل شيء ذهني.
- وإذا دل الموضوع على ما يقابل الذات دل الموضوعي على ما يقابل الذاتي، وله بهذا الاعتبار معنيان:

أ- فإن دل الذاتي subjectif على الظاهر apparent أو اللاوقعي. دل الموضوعي على ما يتقوم به الشيء الخارجي، وهو ما يوجد بذاته في الأعيان مستقلا عن المدرك.

ب- وإن دل الذاتي على الفردي individuel، دل الموضوعي على ما يكون صحيحا بالنسبة إلى جميع العقول إلا بالنسبة إلى عقل دون آخر. والعقل الموضوعي هو الذي ينظر إلى الأشياء نظرة موضوعية فلا يتأثر في أحكامه بما تعود أو أحب أو كره، راجع جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج ٢، ص ٤٤٨.

والموضوعية L'Objectivité: هي وصف لما هو موضوعي، وهي بشكل خاص من مسلك الذهن الذي ينظر إلى الأشياء كما هي عليه، من دون أن يستوهها بنظرة ضيقة، أو بتحيز خاص. راجع: أندريه لالاند:

André Lalandc: vocabulaire technique et critique de la philosophie, p 702.

ومن جهة ثالثة سنربط حديثنا عن العقلانية هنا بما يسمى عند الفلاسفة وحتى بعض العلماء بالحقيقة. ولهذا نتساءل ما معنى الموضوعية عند غاستون باشلار؟ أو متى نقول عن العقلانية التطبيقية أنها موضوعية؟

يرى باشلار أن الموضوعي ليس هو ما يوجد باستقلال عنا، وعن النشاط العقلاني للذهن البشري، وإنما الموضوعي يقصد به ما تم صقله من طرف العقل بما تم بناؤه وإعادة تركيبه، حتى يحصل على إذن الدخول إلى حقل المعرفة. ودليله في ذلك هو أن الإدراك التجريبي الحسي لا يعطينا سوى نتائج القياس هذه النتائج التي حصلنا عليها باستعمال مفاهيم غير ذات مدلول مباشر، ولكن الشيء الذي يعطي لكل ذلك مدلوله العلمي هو الحكم الذي نطلقه، هذا الحكم الذي نستخرج فيه العلاقة الثابتة أو التلازم في الوقوع.. الشيء الذي يفضي بنا إلى ابتكار موجود عملي يتخذ من العلاقة متركزة، وليس من الموضوع الحسي.

ومنه فالفكر عند باشلار هو الذي يخلق الموضوعات، ويكون في خلقه هذا، خاضعا لمعايير وقيم عملية، ولكن هذه المعايير هي التي توجهه وتتحكم فيه وليس هو الذي يتحكم فيه، وفي هذا الموقف رد صريح على النزعة المواضعاتية التي تنفي عن التصورات العلمية كل ضرورة وموضوعية[1].

كما أننا لا نستطيع هنا الفصل بين الموضوعية عن جملة التصورات العلمية المتميزة حسب باشلار بالتغير والتبدل، وبالتالي فهي لا تعرف الثبات والجمود، ومن هنا تبدو موضوعية باشلار متميزة كل التميز عن الموضوعية كما ألفها الفلاسفة وأسسوا لها عبر تاريخ الفكر الفسلفي."إن العقلانية تنظر للتصور العلمي نظرة مخالفة لتلك التي تشيعها الاختبارية منذ أرسطو"[2]. وقد ذهب باشلار في هذا الاتجاه حين قال إذا كان التصور في منظور الاختبارية

([1]). د.سلم يفوت: العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة، ص ١٠١.

([2]). المرجع نفسه: ص ١٠٢.

تصور تصنيف، فإن التصور في منظور العلم هو تقاطع عدة علاقات وارتباطات متبادلة. وهو الكلام الذي يعزز ما أشرنا إليه في مقدمة هذا المبحث عندما أشرنا إلى عنصر العلاقة الثابتة.

وإذا كان من طبيعة التصور العلمي عدم الثبات، وهذا بفعل التقنية والتصحيح والتصويب الذي يمارسه العقل العلمي باستمرار، وهذه الأفعال التي يجريها العلم على ذاته من أجل أن تكون تصوراته أكثر اقترابا من الواقع وأكثر موضوعية إذ يعتبر باشلار أن التصور العلمي هو مجموع الانتقادات الموجهة إلى صورته الأولى[1].

يتناول باشلار المسائل خاصة منها الابستمولوجية من زاوية التحليل النفسي، إذ أنه يحاول الوقوف على العقبات العالقة بالذات، والتي تعيق تقدم العلم، وتجعله لا يبلغ مستوى عال من الموضوعية، فهو عندما يضرب لنا مثالا عن إحدى تجاربه الكيميائية في مختبره مع تلامذته يخلص إلى ما يلي "وهكذا في صف الكيمياء الحديثة كما في معمل السيميائي، لا يظهر التلميذ الصانع كأنهما عقلان نقيان للوهلة الأولى. فالمادة ذاتها ليست سببا كافيا، عندهما لبلوغ موضوعية هادئة، فالإنسان أمام مشهد للظواهر الأكثر إثارة للاهتمام والأكثر إدهاشا بسير طبعا بكل رغباته، بكل أهوائه، بكل روحه، إذن لا داعي للاندهاش من كون المعرفة الموضوعية الأولى هي خطأ أول"[2].

يوحي لنا هذا النص مباشرة، بمدى فصل باشلار بين المعرفة الموضوعية واليقين، وارتباطها المباشر بالأخطاء، معتبرا اياها شرطا لبلوغها.

وخير مثال على ذلك، ما نجريه من مقارنة بين أعمال"ماكبريد" وتقنيات"باستور" لنقف على الفرق الواضح بينهما، إذ أن الفكر العلمي الحديث هو فعلا ركيزة ثقافية مختلفة، إنه ما من ملاحظة في القرن الثامن

([1]).المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

([2]) G. BACHELARD: la formation de l'esprit scientifique, p 54.

عشر أدت إلى تقنية في القرن التاسع عشر، إذ أن الفكر العلمي يركز جهوده لتنصب على توضيح وحصر وتنقية الجواهر وظواهرها "إنه يبحث عن الخميرة الخاصة الموضوعية، وليس الاختمار الكلي، وكما قال بحق "مارسيل بول" Marcel Boll أن يميز العالم الحديث هو الموضوعية وليس الشمولية الكلية L'universalisme فلا مناص للفكر من أن يكون موضوعيا ولن يكون شموليا إلا إذا استطاع ذلك، إلا إذا كان الواقع يسمع بذلك"[1].

وكما أشرنا فإن باشلار يعتبر الموضوعية شرطا للعلمية، ويعطيها مفهوما مخالفا للمفاهيم السابقة، إنه يحدد الموضوعية في الدقة la précision وفي التناسق la cohérence بين المحمولات إنها لا تتمثل في ما يفعله بعض العلماء وحتى الفلاسفة عندما يجمعون موضوعات مشاطرة نسبيا. إذ يعتبر باشلار أن ما يحدا المعرفة يعتبر في الغالب بالنسبة إلى تقدم الفكر مما يعمم المعرفة بشكل غامض "فالمعرفة التي تفتقر إلى الوضوح والدقة أو بتعبير آخر أن المعرفة التي لا تعطي مع شروط تعيينها الدقيق ليست معرفة علمية"[2].

وإذا كان باشلار هنا يتفق مع ما ذهب إليه ديكارت في تحديده للشروط التي تشكل معالم المعرفة العلمية الموضوعية، إلا أنه يختلف عنه من حيث أن ديكارت يؤمن باليقين والحقيقة المطلقة الثابتة، والتي تتخذ من الرياضيات نموذجا للعلمية ومعيارا لصحة المعارف، فإن باشلار يذهب عكس ذلك، إنه يشترط التناسق والوضوح والدقة، وهي نفس الصفات التي حددها ديكارت، إلا أنه يختلف عنه في نظرته إلى العقل من جهة، وإلى المعرفة من جهة ثانية، وإلى الحقيقة واليقين من جهة ثالثة. فإذا كان العقل عند ديكارت حائزا بصفة قبلية للمقولات التي تنظر بها إلى الواقع، وبالتالي يظهر العقل كأنه كامل ونهائي ومطلق، فإن باشلار يقول: "**إطلاق العقل** وزعزعة عادات

([1]) G. BACHELARD: la formation de l'esprit scientifique, p 71.

([2]) Ibid: p 71.

المعرفة الموضوعية، وهذا من جهة ثانية **مراس تربوي ثابت**، لكنه لا يمشي بدون شيء من السادية لكنه لا يمشي بدون شيء من السادية* التي تبين بكل وضوح تدخل إرادة القوة لدى المربي العلمي، إن طرافة العقل هذه متبادلة"[1].

يربط باشلار هنا مسألة الموضوعية بالتحليل النفسي ليقف على مصطلحين هما **السادية Sadisme** والمازوخية Masochisme* إذ يقول:"غي ران هذه النزاعات السادية أو المازوخية، التي تظهر خاصة في الحية الاجتماعية للعلم، لا تميز تمييزا كافيا الموقف الحقيقي للعالم المعتزل، وهي ليست بعد سوى العقبات الأولى التي يفترض بالعالم أن يتخطاها لكي يكتسب **الموضوعية العلمية الدقيقة**، وفي نقطة التطور التي بلغها العلم المعاصر، يجد العالم نفسه أمام ضرورة متجددة دائما **للتخلي عن فكرانيته الشخصية**، وبدون هذا التخلي الصريح، دون **هذا التجرد عن الحس**، دون هذا الإهمال للصور المحببة لنا يتوانى البحث **الموضوعي** ليس فقط عن فقدان خصوبته، بل فقدان الاتجاه نحو الاكتشاف بالذات"[2].

إن حياة اللحظة الموضوعية مرارا وتكرارا، وعيش الذات المستمر في حالة نشوء التموضع وتجدده، يستدعيان بالنسبة لباشلار مجهودا ثابتا للتجرد من الذاتية، يلخص باشلار هذه الفكرة في عبارات رومانسية، هي أقرب إلى لغة الأدب منها إلى لغة الفلسفة قائلا:"فيا للفرح العظيم بهذا

---

*السادية sadisme: هو شذوذ جنسي يرتبط فيه الإشباع بالتعذيب أو الإذلال الذي يصب على الآخر، وهو يطلق أحيانا مرادفا للعدوانية، راجع: معجم المصطلحات التحليل النفسي، تأليف جان لابلانس، و ج ب، بونتاليس، ترجمة د. مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، منشورات ١٩٨٧، ص٢٨٠.

(1) G. BACHELARD: la formation de l'esprit scientifique p 247.

*المازوخية Masochisme: هو شذوذ جنسي يرتبط فيه الإشباع بالعذاب والألم أو بالإذلال الذي يلحق بالشخص.

(2) ibid ,p 248.

التأرجح من الخارج إلى الداخل، بالنسبة إلى عقل متحرر نفسانيا من عبودتي **الذات والموضوع** le sujet et l'objet! فكل اكتشاف une découverte موضوعي هو على الفور **تصحيح ذاتي**، فالموضوع إذ **يعلمني إنما يغيرني** si l'objet m'instruit, il me modifie وإنني أنادى بتغيير روحي spirituelle للموضوع بوصفه المربع الأساسي"[1].

فالموضوعية مرتبطة على الدوام بالفعل الذي تمارسه الذات مع نفسها إنه فعل التصويب، وعدم جمودها على الأفكار والمعارف السابقة، والتي يؤدي الاكتشاف دائما إلى ضرورة تبديلها وتغييرها وتعديلها. هذه هي الموضوعية في نظر باشلار إنها خاضعة لصيرورة، صيرورة الفكر العلمي، والاكتشاف العلمي المستمر وليس الاستقرار والثبات كما هو الحال عند الفلاسفة وبعض من العلماء السابقين وحتى المعاصرين له.

ينتقل بنا باشلار إلى وجه آخر من أوجه الموضوعية، هذه الأخيرة التي هي رهينة ما تقدمه النتائج العلمية، التي تسعى إلى بلوغ درجة الحقيقة، ليصل بنا في الأخير إلى أنها ليست مماثلة للحقيقة عند الفلاسفة، إذ أن الحقيقة التي يتحدث عنها باشلار هي **الحقيقة العلمية، وليست الحقيقة الفلسفية:** هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه الحقيقة **نسبية** وليست مطلقة. ودليله في ذلك يستقيه من تاريخ العلوم -كما اعتاد على ذلك- إذ أن تاريخ العلوم، حسب رأيه، يبين لنا أنه ليس هناك حقيقة ثابتة ونهائية. ويشير كذلك إلى أن خطأ الفلسفات التقليدية في هذه المسألة هي كونها بنت أنساقها الفلسفية على اعتبارات علمية مثلما فعل كانط عندما اعتمد علم الطبيعة عند نيوتن أو كما فعل ديكارت عندما اعتبر الرياضات نموذجا للعلمية.ولهذا فهم قد اعتقدوا بنهائية نتائج العلم. وهذا ما يرفضه باشلار الشيء الذي أدى،حسب رأيه، إلى حدوث تناقض بين الحقيقة في الفلسفة والحقيقة في

([1]) Ibid: pp 248, 249.

العلم. ونحن نعلم كما أشار إلى ذلك العلماء المعاصرون، أن علاقة المعرفة بالواقع ليست أكثر من مقاربة للواقع، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالمجالات الأساسية للعلم ومنها: **اللاتناهي في الصغر، واللاتناهي في الكبر، والتعقيد في الموضوع العلمي**[1]. بالإضافة إلى القضية المهمة والمميزة للدراسات الابستمولوجية الحديثة والمعاصرة؛ وهي مسألة الحدود الابستمولوجية المرتبطة بمفهوم العقل. ومن هنا ذهب باشلار إلى القول:"**الحقيقة العلمية في جوهرها، هي الحقيقة التي لها مستقبل**"[2]. ولهذا **فالحقيقة بهذا المنظور لا تعرف الحدود**. ودليل باشلار في هذا، هو كما أشرنا سلفا،أن الحقيقة مرتبطة بالتطور الذي تشهده العلوم على مستوى الموضوعات والوسائل والمناهج، وعليه يخلص إلى أن **الحقيقة لها تاريخ**[3]. وهو في كل ذلك يربط بين الموضوعية ومسألة التحقق، هذا الاخير هو ميزة العقلانية التطبيقية الغالب "**في الواقع تدل موضوعية التحقق خلال قراءة مسردية على أن الفكر الذي نتحقق منه فكر موضوعي، وسرعان ما تحل واقعية الدالة الرياضية محل واقع المنحى الاختباري**"[4]. هذا التحقق الاختباري والرياضي يتحقق في التاريخ ويتغير مع مر الزمن. إنه بعبارة موجزة تحقق مستمر لا يعرف الثبات ولا الاكتمال ولا النهائية، **إنه تحقق مفتوح على ما يكشفه العلم من جديد**.

وفي هذا، ينبه باشلار إلى أن طريق العلم المعاصر إلى الحقيقة هو جملة التجارب الدقيقة المعقدة، التي تعتمد على أدوات ووسائل مادية ونظرية معقدة. وبلوغها لا يتحقق بإتباع العلماء لمنهج واحد مثلما هو الأمر في الفلسفات التقليدية. **لا يمكن لحقيقة ما أن تصبح يقينا لمجرد كونها صادرة**

([1]). مجموعة من المؤلفين: مدخل جديد إلى فلسفة العلوم، ص ٢٦.

([2]) G. BACHELARD: l'activité rationaliste de la physique contemporaine, p 28.

([3]). مجموعة من المؤلفين: مدخل جديد إلى فلسفة العلوم: ص ٢٦.

([4]) G. BACHELARD: la philosophie du non, p 10.

عن يقين أول. بل الحقيقة في الفكر العلمي المعاصر حقيقة معقدة، إنها تطلب وسائل ومناهج متنوعة ومتعددة.

الموضوعية لا تكمن في دراسة ما هو بسيط، إذ أن علوم الكيمياء والفيزياء المعاصرين كشفا أنه ليس بالإمكان الاستناد إلى مبدأ البساطة. ولا يشكل الواقع البسيط موضوعا لهما.

يبين العلم بكل وضوح أننا ينبغي أن نقرأ المعقد الواقعي في مظاهر البساطة، التي قد تعطى في الظواهر، صار العلم يبحث عن المعقد البسيط، يبحث عن التعدد الموجود وراء الهوية، إن الموضوعية من هنا تتجلى في هذا المعقد وهذا التعدد[1].

بالإضافة إلى ذلك يرى باشلار في الموضوعية ذلك التقارب الذي ينبغي أن يحصل بين العقول، ولم لا تماثل العقول. والذي يظل دائما على ارتباط بالتجربة، ارتباط بفعل التحقق أو التطبيق، كما اصطلح عليه في جل مؤلفاته "ولعلنا نرى في الفاعلية العلمية أوضح ما نرى، ذلك المعنى المزدوج لمثل الموضوعية الأعلى، وتلك القيمة الواقعية والاجتماعية معا لإنشاء الموضوعية"[2]. ويورد لنا تعريف لالاند Lalande للعلم، الذي يرى بأنه لا يهدف إلى تمثل الأشياء وحسب، بل يهدف إلى، وبالدرجة الأولى إلى تماثل العقول L'assimilation des esprits. ولولا هذا التماثل الموجود بين العقول، لما ظهرت أية مسألة. "فلو استسلمنا لأنفسنا بإزاء الواقع الأكثر تعقدا، لكان بحثنا عن المعرفة بتناولها من زاوية الضيق، زاوية قدرتها على الإثارة. وعندئذ يكون العالم ما نتمثل ونتصور (...) **والواقع أن الحقيقة العلمية تنبؤ prédiction، بل هو موعظة une prédiction**، فنحن ندعو العقول إلى التقارب عندما نعلن النبأ العلمي، وعندما ننقل في الوقت ذاته فكرا وتجربة، **ونربط الفكر بالتجربة**

([1]). محمد وقيدي: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، ص ٩٤.

([2]) G. BACHELARD: le nouvel esprit scientifique, 13.

ضمن إطار التحقيق une vérification: ولذا فإن العالم العلمي هو ما نحقق le monde scientifique est donc notre vérification. والعلم الحديث يقوم فوق الذات، ووراء الموضوع المباشر، إنه يقوم على أساس المشروع"[1].

الموضوعية كهدف للعلم تتحقق في فعل التطبيق والتحقق، إنها تأخذ صيغة المشروع. وإذا كانت دراسة العالم للواقع لم تعد متصلة بما هو مباشر، لم يعد البحث عن ظاهرة عضوية. كما يفعل بعض العلماء، بل صار الموضوع المدروس يظهر للعلماء على أنه تركيب علاقات، الشيء الذي أدى بباشلار إلى القول أنه يترتب علينا أن ندركه بطرائق كثيرة. ومن المتعذر أن تنفصل الموضوعية عن الطابع الاجتماعي للبرهان. إننا إذا لم نعرف بصورة برهانية مفصلة طريقة إنشاء الموضوعية، فإنه ليس بوسعنا بلوغها[2].

إدراك العلاقات وتركيبها من طرف العالم هو فعل رياضي، وهو شرط من شروط بلوغ الموضوعية في مشروع باشلار الابستمولوجي. لأنه حسب رأيه "الأفكار المنظمة، الأفكار المعاد ترتيبها والمنسقة في الزمان المنطقي، تقرر انبثاقا حقيقيا للذاكرة (...) بل إن المختبر على العكس يبتهج لاستيعاب اكتشافه من قبل الرياضيات، إذ يعرف أن الحدث الجديد، متى ربط بالوجه الحديث للنظرية السائدة، يكتسب ضمانات الموضوعية المراقبة في العمق les garanties d'une objectivité surveillée en profondeur كون النظرية السائدة نظام فحص اختباري، مستغل في أدمغة العصر"[3].

إن العقلانية التطبيقية تفوز بقيمها الموضوعية عندما تكون متوفرة على القدرة التطبيقية، لكل عقلانية علمية أن تظهر عقلانية تطبيقية ومادية معلمة على حد سواء. إنها العقلانية التي تأتي بالأدلة على خصوبتها في تنظيم

---

(1) G. BACHELARD: le nouvel esprit scientifique Ibid: pp 13, 14.

(2) Ibid: p 14.

(3) G. BACHELARD: le rationalisme appliqué: p 02.

الفكر التقني، **ولهذا يربط باشلار دائما بين الموضوعية والطريقة التطبيقية للعقلانية** «.. لم يعد المقصود، إذا للحكم على الفكر العلمي الاستناد إلى عقلانية شكلية، مجردة، شمولية، بل المطلوب هو بلوغ عقلانية محسوسة un rationalisme "concert". [1] وعليه فالموضوعية لا ترتبط بالمدرسة الصورية ولا بالاتجاه التجريدي ولا بالنزعة الشمولية، إنها تتجدد في النزعة التطبيقية المحسوسة، المرتبطة باستمرار بالتجارب التي يجريها العلماء، وفي الآن ذاته تخضع إلى الترييض. من أجل إدراك العلاقات وترتيبها وتنظيمها، ومنه تحقيق التناسق. هذه الشروط يلح باشلار على توافرها في حقل الدراسة العلمية، ويطرح مشروعه أو كما يسميه الأطروحة قائلا:**"أطروحة تسعى إلى إعادة وضع العوامل الأكثر فاعلية في التطورات الحالية باستمرار، في أساس العقل الإنساني، إن حالية actualité العقل تستدعي دائما إعادة تنظيم كلي، وتوافق العقول، يتطلب دائما أن يعاد صنعه، كما أن العزلة تترصد عقلا عند كل تحول فكرة أساسية"**[2].

إعادة النظر هذه التي يمارسها العقل باستمرار، من شأنها أن تجعل الحقيقة العلمية والحقيقة الفلسفية شيئا واحدا، وتتجاوز الثنائية المتناقضة بين الحقيقتين، اللتان يمتاز بهما الخطاب الفلسفي والخطاب العلمي، فتعمل الموضوعية هنا على إزالة الهوة الفاصلة بين الخطابين الفلسفي والعلمي، وهي إذا استطاعت أن تصل إلى هذا المستوى تكون قد حققت مجموعة من النتائج:

أولا: تجاوزها لما يسمى بالحقيقة المطلقة وتأسيسها لما يسمى بالحقيقة النسبية، وهذه الأخيرة مرتبطة أساسا بتقدم العلم، والذي يكشف تاريخه عن عدم وجود حقيقة ثابتة ونهائية؛ عدم الثبات وعدم النهائية مردهما إلى أن

([1]) ibid.p4

([2]) G. BACHELARD: le rationalisme appliqué: p 49.

الوقائع التجريبية هي الأساس في العمل العلمي. ولهذا يصير الخطاب الموضوعي مرحلة من مراحل الفكر العلمي وسمة من سمات العقلانية التطبيقية. فتتميز عن الخطأ في الأنساق الفلسفة المتسمة بالانغلاق، ومن هنا تقضي العقلانية التطبيقية على هذه المفارقة paradoxe التي توجد بين النتائج العلمية والموقف الفلسفي "**إن العقلانية فلسفة تتابع، وليس أبدا بالمعنى الصحيح فلسفة تبدأ le rationalisme est une philosophie qui continue, il n'est jamais vraiment une philosophie qui commence**"[1].

ثانيا: تمتاز موضوعية العقلانية التطبيقية بكونها مرتبطة بالواقع، والواقع في العلم المعاصر يتعلق بدراسة الجسيمات الصغيرة، التي لن تكون في تصور باشلار إلا معرفة تقريبية une connaissance approchée.

ثالثا: ولهذا فالموضوعية هنا لا تعني الإقرار بالحقيقة الكاملة النهائية، بل بالمعرفة التقريبية. وقول باشلار بالمعرفة التقريبية لا يعد نقيصة في العلم، بل هو سمة لازمة له، بتعبير آخر الحقيقة الموضوعية هي المعرفة التقريبية، والعكس صحيح.

وليس النقص الموجود كما هو معروف في الوسائل التي تبحث في المعرفة والعلم، وإنما يأتي هذا النقص لتقوية وتجديد وتدقيق هذه المناهج والوسائل، إذ يعتبر باشلار أنه من أجل الوصول إلى إضفاء صبغة التقريب على المعرفة لابد من إيجاد مناهج جديدة جدة كاملة. وهذا التجديد والتدقيق لا يرتبطان بالتقنيات التي تمكن العلماء من الملاحظة والتجريب والقياس وإنما هو تجديد وتدقيق في المناهج الرياضية. التي تمكنهم حسب رأيه من التعبير عن هذه المعرفة التقريبية. وعليه يخلص إلى أن المعرفة الخاطئة والمؤقتة، هي معرفة تقريبية، وهي المعرفة الحقيقية والموضوعية[2].

([1]) ibid, p 54.

([2]). محمد وقيدي: فلسفة المعرفة عند غاستون باشلار، ص ٢٠٠ وما بعدها.

نستنتج من كل هذا، أن الموضوعية خاصية من خصائص العقلانية التطبيقية يختلف مفهومها عن المفاهيم الفلسفية السابقة التي تفصل الذات عن الموضوع، والتي تضع الذات بعيدة عن الواقع. وتبعد العلم عن دراسة الموضوعات والوقائع ذات الصلة بالواقع المادي من جهة والواقع المعرفي من جهة أخرى.

إن موضوعية باشلار قد جمعت بين العقل العلمي المتطور المتجدد الذي يعيد النظر دائما في مفاهيمه وبين الواقع بمختلف دلالته وأشكاله وتجلياته من واقع مادي إلى واقع ميكروفيزيائي إلى واقع يصنعه العقل من ذاته. ومناهج الدراسة في كل هذا جمعت هي أيضا بين العلوم الرياضية التي تعبر عن هذه المعارف العلمية المتصلة بالتطبيق وبين العلوم الفيزيائية المتغيرة والمتطورة والمتجددة باستمرار، وهي في كل هذا لا تعرف لا الثبات ولا المطلقية ولا النهائية ولا الانفصال عن الواقع، إنما تعني الارتباط به ومسايرة العلوم الدراسة له.

خلاصة:

ما يمكن أن نستخلصه من خلال عرضنا لهذا الفصل هو ما يلي:

الجدل عند باشلار العلمي الذي الفلسفي كما هو لدى الفلاسفة مثل هيجل وماركس وغيرهم. بل الجدل بالمعنى العلمي الذي هو روح العقلانية التطبيقية وسر تطورها ونجاحها.

العقلانية تمتاز بالجدلية، هذه الأخيرة تعني إخضاع المبادئ والنتائج والمفاهيم لسيرورة التطور العلمي، وبالتالي فجدليتها مرتبطة بالعلم وتطوراته، متقبلة لاكتشافاته الجديدة.